تفسيرُ
الفاتحةِ وقِصارِ المُفصَّلِ

تصنيف
صَالِح بن عبد الله بن حمد العُصيمي
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله خلق كلَّ شيءٍ فقدَّره تقديرًا، وأنزل الكتاب ليكون للعالمين نذيرًا، وصلَّى الله على عبده ورسوله محمَّدٍ المبعوث داعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أمَّا بعد:

فإنَّ معرفةَ معاني كلام الله، والإشرافَ على مكنون هداه، هي أولى ما أُدمن فيه النَّظر، وحُرِّكت نحوَه الفِكَر، فَبِه تُحصِّل النُّفوس راحتَها، وتحوزُ القلوبُ طُمأنينَتها.

ألا وإنَّ قِصار مفصَّلِه اللَّطيف، من الضُّحى إلى آخر المُصحفِ الشَّريف، محلُّ عناية جمهور المسلمين حفظًا؛ لقِصَر آياتها، وعذوبة سياقها، ولكلٍّ فضائلُ مخصوصةٌ، ومقاصدُ منصوصةٌ، فهي حقيقةٌ بالتَّفهُّم، وجديرةٌ بالتَّعلُّم.

وهذا تفسيرٌ مختصَرٌ للسُّور المذكورة، يَقرُب تناوُلُه، ويَسهُل تأمُّلُه، قيَّدتُه راجيًا منفعتَه التَّامَّة، وملتمِسًا بركتَه العامَّة، مستفتَحًا بتفسير الفاتحة لما لها من مقامٍ عظيمٍ، ومنزلٍ كريمٍ.

واللهَ أسألُ السَّلامةَ من الزَّلل، واتقاءَ سوء القول والعمل.

تفسير
سُورَةِ الفَاتِحَةِ

عن أبي سعيدٍ ابنِ المُعلَّى رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قال: كنتُ أُصلِّي فدعاني النَّبيُّ ﷺ فلم أُجِبْهُ، قلتُ: يا رسولَ اللهِ إنِّي كنتُ أُصلِّي، قالَ: «ألم يَقُلِ اللهُ: ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ﴾ [الأنفال: ٢٤]»، ثمَّ قالَ: «ألا أُعلِّمكَ أعظمَ سورةٍ في القرآنِ قبلَ أن تخرجَ من المسجدِ»، فأخذ بيدِي، فلمَّا أردنا أن نخرجَ قلتُ: يا رسولَ اللهِ! إنَّك قلتَ: «لأُعلِّمنَّك أعظمَ سورةٍ من القرآن»، قال: «﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝﴾ [الفاتحة: ٢]، هي السَّبعُ المثاني، والقرآنُ العظيمُ الذي أُوتيته». رواه البُخاريُّ.

وعن أبي هريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «قال اللهُ تعالى: قسمتُ الصَّلاةَ بيني وبين عبدي نصفينِ، ولعبدي ما سألَ، فإذا قالَ العبدُ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝﴾، قالَ اللهُ تعالى: حمِدني عبدي، وإذا قالَ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝﴾، قالَ اللهُ تعالى: أثنى عليَّ عبدي، وإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝﴾، قالَ: مجَّدني عبدي، - وقالَ مرَّةً: فوَّض إليَّ عبدي -، فإذا قالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝﴾، قالَ: هذا بيني وبين عبدي،

ولعبدي ما سأل، فإذا قالَ: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۞ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۞﴾، قالَ: هذا لعبدي، ولعبدي ما سألَ». رواه مسلمٌ.

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١﴾

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ [الفاتحة: ٢-٧]

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ أقرأُ القرآنَ، فمقصود المُبسمِل في فاتحة القراءة هو بسم الله الرَّحمن الرَّحيم أقرأ.

والاسم الأحسنُ (اللهُ) عَلَمٌ على ربِّنا ﷻ، ومعناه: المألوه المستحِقُّ لإفراده بالعبادة، و﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ اسمان من أسمائه تعالى، دالَّان على رحمته؛ فأوَّلُهما دالٌّ عليها حال تعلُّقها به في سعتها، والآخرُ دالٌّ عليها حالَ تعلُّقها بالخلق في وصولها إليهم.

وأوَّل هذه السُّورة: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، فالحمد هو الإخبار عن محاسن المحمود مع حبِّه وتعظيمه، و﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ اسمٌ إضافيٌّ، فالرَّب في كلام العرب: المالك، والسَّيِّد، والمصلح للشَّيء، والعالمين جمع عالَم، وهو اسمٌ

للأفراد المتجانسة من المخلوقات، فكلُّ جنسٍ منها يُطلق عليه عالَمٌ، فيُقال: عالَم الإنس، وعالَم الجنِّ، وعالَم الملائكة.

وربوبيته ﷻ لم تُنتِج ظلمًا، بل مضمونُها العناية بالخلق ورحمتهم، ولهذا وصف نفسه بقوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣﴾ فهو رحمنٌ وسِعَت رحمتُه جميع الخلق، رحيمٌ يُوصِل رحمتَه إليهم.

ثمَّ أكَّد ربوبيته بقوله: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾، وهو يومُ الحساب والجزاء على الأعمال، الَّذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٨ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ١٩﴾ [الانفطار: ١٧-١٩]، وهو يوم القيامة، وخصَّه بالذِّكر؛ لأنَّه يَظْهَر فيه للخلق كمال مُلكِ الله تمام الظُّهور، لانقطاع أملاك الخلائق؛ وإلَّا فهو مالك يوم الدِّين وغيرِه من الأيَّام.

وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾؛ أي نخصُّك وحدَك بالعبادة، ونستعين بك وحدَك في جميع أمورنا، وعبادة الله: تألُّه القلب له بالحبِّ والخضوع، والمأمور به فيها امتثال خطاب الشَّرع، والاستعانة به هي طلب العبدِ العونَ منه في الوصول إلى المقصود.

ثمَّ قال تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾؛ أي دُلَّنا وأرْشِدنا إليه، وثبِّتنا عليه حتى نلقاك، وهو الإسلام، ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ المتَّبعين للإسلام الَّذي جاء به النَّبيُّ ﷺ، ﴿غَيۡرِ﴾ صراطِ ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ﴾ الَّذين عرفوا الحقَّ ولم يعملوا به، وهم اليهود، ومن عدل عن الصِّراط المستقيم من هذه الأُمَّة عن علمٍ ففيه شَبَهٌ مِنهم، ﴿وَلَا﴾ صراطِ ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ الَّذين تركوا الحقَّ عن جهلٍ فلم يهتدوا وضلُّوا الطَّريق، وهم النَّصارى، ومن عدل عن الصِّراط المستقيم من هذه الأمة عن جهلٍ ففيه شَبَهٌ مِنهم.

تفسير
سُورَةِ الضُّحَىٰ

عن جُنْدُبِ بنِ سُفيانَ رضي الله عنه قالَ: اشتكى رسولُ اللهِ ﷺ فلم يَقُمْ ليلتينِ أَو ثلاثًا، فجاءت امرأَةٌ فقالت: يا محمَّدُ، إِنِّي لأَرجو أَن يكونَ شيطانُكَ قد تركَكَ، لم أَرَهُ قربكَ منذُ ليلتينِ أَو ثلاثةٍ؛ فأَنزلَ اللهُ عز وجل: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾. متَّفقٌ عليه.

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١﴾

أقسم الله تعالى بالضُّحى، وهو اسم ضوء الشَّمس إذا أشرق وارتفع، والمراد به هنا النَّهار كلُّه، وبالَّليل إذا سكن بالخلق وثبت ظلامه = على اعتنائه برسوله ﷺ، فقال جوابًا للقسم: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾؛ أي ما تركك ربُّك، وما أبغضك بإبطاء الوحي وتأخُّرِه عنك.

وهذا له من ربِّه في الدُّنيا؛ ثمَّ بشَّره بما له في الآخرة فقال: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ فلَلدَّار الآخرة خيرٌ لك من دار الدنيا، ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ من مظاهر الإنعام ومقامات الإكرام في الآخرة ﴿فَتَرْضَىٰ﴾، وإلى هنا تمَّ جواب القسم بِمُثْبَتَين بعد منفيَّيْنِ.

ثمَّ شرع يُذكِّره بما امتنَّ به عليه في الدُّنيا فقال: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ﴾ استفهامَ تقريرٍ؛ أي وجدك ﴿يَتِيمًا﴾ لا أُمٌّ لك ولا أبَ، بل مات أبوه وهو حَمْلٌ، وماتت أُمُّه وهو صغيرٌ لا يقدر على القيام بمصالح نفسه، ﴿فَآوَىٰ﴾ بأن ضمَّك إلى من يكفُلُك، وجعل لك مأوىً تأوي إليه، فكفَّله جدَّه عبد المطَّلب، ثمَّ لَمَّا مات كفَّله عمَّه أبا طالبٍ، حتَّى أيَّده بنصره وبالمؤمنين.

﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾ لا تدري ما الكتاب ولا الإيمان، ﴿فَهَدَىٰ﴾: فدلَّك وأرشدكَ، وأنزل عليك الكتاب والحكمة، وعلَّمك ما لم تكن تعلم.

﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا﴾ فقيرًا ﴿فَأَغْنَىٰ﴾ بما ساق إليك من الرِّزق، وقنَّعك به.

ومَن آواك وهداك وأغناك فحقُّه مقابلة نعمته بالشُّكر، ومِنه ما ذكره الله ﷻ في قوله: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾؛ أي لا تَغْلِبْهُ مُسيئًا

معامَلته، ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ﴾ عن دِيْنٍ أو دنيا ﴿فَلَا تَنْهَرْ﴾؛ أي تزجر، بل اقْضِ حاجتَه أو رُدَّه برفقٍ، ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ مخبرًا عنها، فإنَّ التَّحدُّث بنعمة الله، داعٍ لشكرها، وسببٌ في محبَّة القلوب لمن أسداها، فإنَّ القلوب مجبولةٌ على محبَّة المحسِن إليها.

تفسير
سُورَةِ الشَّرۡحِ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ١ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ٣ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ٤ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا ٦ فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ٨﴾

يقول الله تعالى ـ ممتنًّا على رسوله ﷺ ـ: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ﴾ استفهامَ تقريرٍ؛ أي شرحنا صدرك للإسلام، وهو ناشئٌ عن شرح صدره الحسِّيِّ، الَّذي وقع مرَّتين أُولاهما في صغره لَمَّا كان مسترضَعًا في بني سعدٍ، والثَّانية ليلةَ أُسرِي به في مكةَ بين يدي الإسراء رواهما مسلمٌ، ووافقه البخاريُّ في الثَّانية.

﴿وَوَضَعۡنَا﴾؛ أي حَطَطْنا ﴿عَنكَ وِزۡرَكَ﴾ وهو الذَّنب، ﴿ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ﴾؛ أي أَثْقَل ﴿ظَهۡرَكَ﴾.

﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾ فأعلينا قدْرَك، وجعلنا لك الثَّناءَ الحسن، بما أشاع الله من محاسن ذِكره بين النَّاس، وبما نزَّل من القرآن ثناءً عليه وكرامةً له، وبإلهام النَّاس التَّحدُّث بما جبله الله عليه من المحامد في أوَّل نشأته، ومن أعظم ذلك أنَّ اللهَ قَرَن ذِكره بذكره

في الشَّهادتين، وله في قلوب أُمَّته من المحبَّة والتَّعظيم بعدَ الله تعالى ما ليس لأحدٍ سواه.

وقوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ﴾ وهو الشِّدة ﴿يُسْرًا﴾ أي سُهولةً، والفاء فيه فصيحةٌ، تُفصِح عن كلامٍ مقدَّرٍ يدلُّ عليه الاستفهام التَّقريريُّ هنا، أي إذا علمتَ هذا وتقرَّر؛ فاعلم أنَّ اليسرَ مصاحِبٌ للعسر، فالعسر الَّذي عَهِدْتَه وعلمتَه سيجعله الله يسرًا، والتَّنكير للتَّعظيم، وفي تَكرارها بقوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ تأكيدٌ لتحقيق اطِّراد هذا الوعد وعمومه.

ثمَّ أمر الله رسولَه ﷺ بشكره، والقيامِ بواجبِ نِعمه، فقال: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾؛ أي إذا فرغتَ من عملٍ بإتمامه؛ فأقبِلْ على عملٍ آخر؛ لتعمُرَ أوقاتَك كلَّها بالأعمال الصَّالحة، ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ فأعظِم الرَّغبة إليه في مُراداتِك مقبلًا عليه.

تفسير
سُورَةِ التِّينِ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ۝٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ۝٤ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ۝٨﴾

أقسم الله بالشَّجرتين المعروفَتَين التِّينِ والزَّيتونِ فقال: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ﴾، مُريدًا مَنابِتَهما وهي أرض الشَّام، ثمَّ أقسم بجبل سِيناء فقال: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ وهو الجبل الَّذي كلَّم اللهُ فيه موسى عليه الصَّلاة والسَّلام، و«سِينين» لغةٌ في سِيناء، وهي صحراءُ بين مصرَ وبلاد فلسطينَ، ثمَّ أقسم أُخرى فقال: ﴿وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ﴾ وهو مكَّة المكرَّمة لأمن النَّاس فيها، والإشارةُ إليه للتَّعظيم، ولأنَّ نزولَ السُّورة واقعٌ فيه، وهذه المواضع هي مواطن أكثرِ الأنبياء، فهي أرض النُّبوات ومَهْبِط الرِّسالات.

ثمَّ ذكرَ جواب القسم في قوله: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾ فسوَّاه الله وعدَلَه، وفطره على توحيده، ﴿ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ

سَٰفِلِينَ﴾ في نار جهنَّمَ إن كفر؛ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فإنَّهم لا يُردُّون إليها، بل جزاؤهم ما أخبر عنه بقوله: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾؛ أي لهم أجرٌ لا يشوبُه كَدَر المنِّ، ولا يَلحقه الانقطاع، وذلك في جنات النَّعيم، ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ﴾ وهو الحساب والجزاء على الأعمال، فأيُّ شيءٍ يجعلك أيُّها الإنسان مكذِّبًا بما جاءت به الرُّسل من الشَّرائع والمناهج، وما بشَّرتْ به وأَنذرَتْ من الجزاء بالجنَّة والنَّار، وأنت قد خُلِقت في أحسن تقويمٍ، ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ في الفَصْل والقضاء بين عباده مَن آمنَ منهم ومَن كفر؟!

تفسير
سورة العلق

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ
الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ
لَيَطْغَىٰ (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ (٧) إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ (٨) أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ (٩) عَبْدًا
إِذَا صَلَّىٰ (١٠) أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ (١٢) أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ
وَتَوَلَّىٰ (١٣) أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ (١٤) كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ
خَاطِئَةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨) كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب
۩ (١٩)﴾

صَدْر هذه السُّورةِ إلى قوله تعالى: ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ هو أوَّل القرآن نزولًا على رسول الله ﷺ؛ وكان ذلك في غارِ جبلِ حراءٍ بمكَّةَ، فإنَّه كان يتعبَّد فيه اللَّيالي ذواتِ العَدَد، فجاءه جبريلُ عليه الصَّلاة والسَّلام فقال له: اقرأ، فقال: ما أنا بقارئٍ، فأخذه فغطَّه حتَّى بلغ منه الجَهد ثمَّ أرسله، فقال: اقرأ، فقال: ما أنا بقارئٍ فأخذه فغطَّه الثَّانية حتَّى بلغ منه الجَهد ثمَّ أرسله، فقال: اقرأ، فقال: ما أنا بقارئٍ فأخذه فغطَّه الثَّالثة حتَّى بلغ منه الجَهد

ثمَّ أرسله، فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ إلى قوله: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾، ثبت هذا في الصَّحيحين من حديث عائشة ﵂.

فأمَرَه في فاتحتها أن يقرأ مستعينًا بالله، مستصحِبًا الفهمَ وملاحظةَ جلاله، مأذونًا له، وقيل له: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾؛ أي خلق الخلق جميعًا، ومنهم الإنسان، فإنَّه ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾ والعَلَقة هي القطعة من الدَّمِ الغليظ، وذِكرُ خلقِ الإنسان بعد الأمر بالقراءة: إشارةٌ إلى الأمر بالعبادة، فمَن خلقَ الإنسان لم يكن ليتركه سُدًى، بل سيأمره وينهاه، وذلك بإرسال الرُّسل، وإنزال الكتب.

ثمَّ قال: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ المتَّصف بغاية الكرم، ومن كرمه ﷻ أنَّه هو ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ فإنَّ الله أخرجه من بطن أُمِّه لا يعلم شيئًا، وجعل له السَّمع والبصر والفؤاد، فعَلِم ما لم يكن يعلمُه من قبلُ، ومن أعظم أسباب عِلمه تعليمُه القلمَ، وهو الخطُّ والكتابة.

ولكنَّ الإنسان الظَّلوم الجهول يَطغى متجاوِزًا حدَّه، ويُعرِض عمَّا أُمر به ونُهي عنه، إذا رأى نفسَه غنيًّا بما أنعم الله عليه، قال الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾.

ثمَّ تهدَّده وتوعَّده فقال: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾؛ أي إلى الله المصير والمرجع، وسيُجازي كلَّ إنسانٍ بعمله.

ومن جنس الإنسان من تسوء حاله فيُعارض الأمر والنَّهي فوقَ إعراضه عنه، كمن ينهى عن الصَّلاة الَّتي هي من أفضل الأعمال، المذكورِ في قولِهِ تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾، فتوعَّده الله بقولِهِ: ﴿أَرَءَيْتَ﴾ أيُّها النَّاهي ﴿إِن كَانَ﴾ العبدُ المصلي ﴿عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ﴾ غيره ﴿بِٱلتَّقْوَىٰٓ﴾، أيستقيمُ أن يُنهى مَن هذا وَصْفُه؟! أرأيتَ أعجبَ مِن طغيانِ هذا النَّاهي؟!

﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ﴾ النَّاهي بالحقِّ ﴿وَتَوَلَّىٰٓ﴾ فأعرضَ عن الأمر والنَّهي، ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ عملَه؟ فهو مطَّلِعٌ عليه محيطٌ به!، أفلا يخاف اللهَ ويخشى عقابَه؟!

ولَئِن لم ينزجِر بالوعيد؛ فَلْيَسَعْه التَّهديدُ إن استمرَّ على حاله: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾ عمَّا يقول ويفعل ﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾؛ أي لنأخُذَنَّ بناصيته - وهي مقدَّم شَعَره - أخذًا عنيفًا، فالسَّفع: القبض الشَّديد بجذبٍ، واستحقَّته ناصيته لاتِّصافها بوصفين هما المذكوران في قوله: ﴿نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ فهي كاذبةٌ في قولها، خاطئةٌ في فعلها، ﴿فَلْيَدْعُ﴾ هذا الأثيمُ ﴿نَادِيَهُۥ﴾ وهم أهل مجلسه؛ فإنَّنا ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ وهم ملائكة العذاب، ليأخذوه ويعاقبوه، سمُّوا زبانيةً لأنَّهم يَزْبُنون أهلَ النَّار؛ أي يدفعونهم بشدَّة.

والآيات السَّابقة نزلت في شأن أبي جهلٍ حين نهى رسولَ الله ﷺ عن الصَّلاة وتهدَّده، روى التِّرمذيُّ والنَّسائيُّ في

«السَّنن الكبرى» بإسنادٍ صحيحٍ عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يُصلِّي عند المقام، فمر به أبو جهلٍ بنُ هشامٍ فقال: يا محمَّد، ألم أنهك عن هذا؟ وتوعَّده، فأغلظ له رسولُ الله ﷺ وانتهره، فقال: يا محمَّد! بأيِّ شيءٍ تُهدِّدني؟ أمَا واللهِ إنِّي لَأكثرُ هذا الوادي ناديًا؛ فأنزل الله: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾، وقال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: لو دعا نادِيَه لأخَذَتْه ملائكةُ العذاب من ساعته، وأصله في البخاريِّ مختصرًا.

ولمَّا فرغ من وعيد النَّاهي وتهديده أتْبَعَه بأمر المنهيِّ ـ وهو العبد المصلِّي ـ أن لا يطيعَ ناهيه فقال: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ﴾ فيما ينهاك عنه، ثمَّ أمره بما فيه فلاحُه فقال: ﴿وَٱسْجُدْ﴾ لربِّك ﴿وَٱقْتَرِب﴾ منه بالصَّلاة؛ فإنَّ العبدَ أقربُ ما يكون من ربِّه وهو ساجدٌ، ففي «صحيح مسلمٍ» عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «أقربُ ما يكون العبدُ من ربِّه وهوَ ساجدٌ؛ فأكثروا الدُّعاءَ».

تفسير
سُورَةِ القَدْرِ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ٥﴾

يُخبرنا الله ﷻ في هذه السُّورة عن إنزال القرآن، فيقول: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ أي القرآنَ جُملةً واحدةً، من اللَّوح المحفوظ إلى السَّماء الدُّنيا، وفي إسناد الإنزال إلى الله تشريفٌ عظيمٌ للقرآن، ﴿فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ أي الشَّرف العظيم، وهو اسمٌ جعله الله للَّيلة الَّتي أَنزل فيها القرآن، ولم تكن معروفةً عند المسلمين، فذكرها بهذا الاسم تشويقًا لمعرفتها، ولذلك أتبعه بقوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾ فاستفهمَ عنها تفخيمًا لشأنها، وتعظيمًا لمقدارها.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أُنزِلَ القرآنُ جُملةً إِلى السَّماءِ الدُّنيا في ليلةِ القَدْرِ، ثُم أُنزِلَ بعدَ ذلكَ في عشرينَ سنةً، قالَ: ﴿وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ٣٣﴾ [الفرقان: ٣٣]، وقرأَ: ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ١٠٦﴾ [الإسراء: ١٠٦]. رواه النَّسائيُّ في «السُّنن الكبرى»، وإسناده صحيحٌ.

وهي ليلةٌ مباركةٌ من ليالي رمضانَ؛ قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ﴾ [الدّخان: ٣]، وقال: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وسُمِّيت ليلةَ القدر لشرفها، ولأنَّه يُقدَّر فيها ما يكون بعدها من المقادير كالآجال والأرزاق.

وفي تشريف زمانِ إنزاله تشريفٌ ثانٍ للقرآن يُظهِرُ علوَّ قَدْره عند الله تعالى.

ثمَّ أخبر الله عن فضلها بقوله: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾ فالقيام فيها إيمانًا واحتسابًا خيرٌ من عمل ألفِ شهرٍ ليس فيها ليلةُ قدْرٍ، ومجموع مدَّتها ثلاثٌ وثمانون سنةً، وأربعةُ أشهرٍ.

وتلك اللَّيلة هي في رمضانَ، وفي العشر الأواخر منه، وأرجاها: أوتارُها، وهي باقيةٌ في كل سنةٍ إلى قيام السَّاعة.

ثمَّ ذكر الله فضلًا آخرَ لها في قوله: ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ من السَّماء، ﴿وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾ أي في تلك اللَّيلة، والرُّوح هو جبريلُ، ﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِم﴾ أي بأمره ﴿مِّن كُلِّ أَمۡرٖ﴾ قضاه الله في تلك السَّنة إلى السَّنة الَّتي بعدها، وتلك اللَّيلة ﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾ أي سلامةٌ، والسَّلامة تشمل كلَّ خيرٍ يتَّصِل، ﴿حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ فمُبتدؤها: غروب الشَّمس، ومنتهاها: طلوع الفجر، وفي التَّعريف بمنتهاها حثٌّ على اغتنام فضلها قبلَ انتهاء وقتها.

تفسير
سُورَةُ البَيِّنَةِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾﴾

كان كفَّار أهلِ الكتاب يقولون: سيُبعث فينا رسولٌ، وكان المشركون يقولون لهم إذا دعوهم إلى اتِّباع اليهوديَّة أو النَّصرانيَّة: لم يأتنا رسولٌ كما أتاكم، فأخبر الله في هذه السُّورة عن قولهم موبِّخًا، فقال: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ وهم اليهود والنَّصارى ﴿وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ﴾ عن كفرهم؛ أي زائلين عمَّا هم عليه، تاركين له، ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ وهي الحجَّة الواضحة الَّتي

وُعِد بها اليهود والنَّصارى في كتبهم، وتلقَّفها عنهم المشركون، ثم فسَّر تلك البيِّنة فقال: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ وهو محمَّدٌ ﷺ، الَّذي يتلو ما هو مكتوبٌ في صحفٍ مطهَّرةٍ، منزَّهةٍ عن كلِّ ما لا يليق، وهي صحف الكتاب المكنون في اللَّوح المحفوظ، ومتلوُّ النَّبيِّ ﷺ منها هو القرآن الكريم، وتلك الصُّحف ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ أي مستقيمةٌ، وهي الكتب الَّتي أنزلها الله مع النَّبيين، قال الله ﷻ: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣]﴾.

ثمَّ أخبر عن سبب كفر أهل الكتاب فقال: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾، وهذه البيِّنة هي بيِّنةٌ أُخرى غيرُ الأُولى، فالبيِّنة هنا الحُجج والآيات الَّتي جاءتهم من قبل، فاختلفوا فيها وتفرَّقوا عنها، فهي كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عِمران: ١٠٥].

ولم يأمرهم هذا الرَّسول إلا بما أُمروا به من قبلُ في كتبهم: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾؛ أي قاصدين بعبادتهم وجهه، فالإخلاص هو تصفية القلب من إرادة غير الله، ﴿حُنَفَآءَ﴾ مقبلين عليه مائلين عمَّا سواه، ﴿وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، وخَصَّهما بالذِّكر لفضلهما وشرفهما.

﴿وَذَٰلِكَ﴾ المأمور به - من إخلاص الدِّين وإقامة الصَّلاة وأداء الزَّكاة -هو ﴿دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾؛ أي دين الكتب القيِّمة، وهو الإسلام، فلا عُذرَ لهم في الإعراض عنه.

ثمَّ ذكر جزاء الكافرين بعدما جاءتهم البيِّنة، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾، والبريَّة: الخليقة.

وأتبعه بذكر جزاء مقابليهم، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾؛ أي جنَّات إقامةٍ، لا يتحوَّلون عنها، ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾؛ أي من تحت أشجارها وغُرفها، على وجهِ أرضها في غير شقٍّ، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ﴾ فرضي عنهم بما عملوا من طاعته، ورضوا عنه بما أثابهم به من النَّعيم المقيم، وإنَّ ﴿ذَٰلِكَ﴾ الجزاءَ الحسنَ حقٌّ ﴿لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ فلا يناله إلَّا من كانت هذه صفته، والخشية خوفٌ مقرونٌ بعلمٍ.

تفسير
سُورَةِ الزَّلزَلَةِ

عن عبد الله بن عمرٍو رضي الله عنهما قال: نزلت ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾، وأبو بكرٍ الصِّديقُ رضي الله عنه قاعدٌ فبكى أبو بكرٍ، فقال له رسولُ اللهِ ﷺ: «ما يُبكيك يا أبا بكرٍ؟»، فقال: أبكتني هذه السُّورة، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «لو أنَّكم لا تُخطئون ولا تُذنبون لخلقَ اللهُ تعالى أُمَّةً من بعدكم يُخطِئون ويُذنبون فيغفرَ لهم». رواه الطَّبرانيُّ في «المعجم الكبير»، وإسناده حسنٌ.

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾

ذكر الله تعالى ابتداء حال الأرض يوم القيامة فقال: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾، فرُجَّت رجًّا شديدًا، ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ وهو ما تثقل به ممَّا في بطنها، فألقته على ظهرها، كما قال تعالى: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾﴾ [الانشقاق: ٤]، ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾

مستعظِمًا حالها: ﴿مَا لَهَا﴾؛ أي ما الَّذي حدث لها؟ وما عاقبته؟

ولا تكون زلزلتُها كلِّها إلا يومَ القيامة، ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ﴾ الأرضُ ﴿أَخْبَارَهَا﴾ فتُخبِر بما عُمِل على ظهرها من خيرٍ وشرٍّ، ذلك ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾؛ أي أمرها أن تُخبِر به، فلا تعصي أمره.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ﴾ يُقبلون إلى الموقف والحساب ﴿أَشْتَاتًا﴾؛ أي أصنافًا متفرقين، ومقصود صرفهم: ﴿لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ فيُريَهم الله ما عملوا من الحسنات والسَّيئات، ويُجازيهم عليها، فَلِمحسنهم النَّعيم المقيم، ولمسيئهم العذاب الأليم.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ وهي النَّملة الصَّغيرة ﴿خَيْرًا يَرَهُۥ﴾؛ أي يره ويرَ ثوابه في الآخرة، ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾؛ أي يره وير عقابه فيها.

وروى النَّسائيُّ في «السُّنن الكبرى» عن صَعْصَعَةَ رضي الله عنه قالَ: قَدِمتُ على النَّبيِّ ﷺ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾، قالَ: ما أُبالِي أَلَّا أَسمعَ غيرَها، حَسْبِي حَسْبِي، وإسناده صحيحٌ.

تفسير
سُورَةِ العَادِيَاتِ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ۝١ فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ۝٢ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا ۝٣ فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ۝٤ فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا ۝٥ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ ۞أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ ۝١١﴾

أقسم الله تبارك وتعالى بالخيل الجاريات في سبيل الله، فقال: ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا﴾ أي العَادِيَات عَدْوًا بليغًا قويًّا، يَصدر عنه الضَّبْح، وهو صوت نَفَسها في جوفها، عند اشتداد عَدْوها، ﴿فَٱلۡمُورِيَٰتِ﴾ الموقِداتِ بحوافرهنَّ ما يَطأْنَ عليه من الأحجار ﴿قَدۡحٗا﴾، فتَقْدَح النَّار ويتوقَّد شررها من ضرب حوافرهنَّ إذا عَدْون، ﴿فَٱلۡمُغِيرَٰتِ﴾ المباغتات الأعداء بما يُكره ﴿صُبۡحٗا﴾؛ فإنَّهم كانوا لا يُغيرون على القوم إذا غزوا إلَّا بعد الفجر، فتكون الغارة صباحًا، ﴿فَأَثَرۡنَ بِهِۦ﴾ أي هيَّجنَ وأصعدنَ بعدْوِهنَّ وغارتهنَّ ﴿نَقۡعٗا﴾ وهو الغبار، ﴿فَوَسَطۡنَ بِهِۦ﴾ أي تَوَسَطْنَ براكبهنَّ ﴿جَمۡعًا﴾ وهم الأعداء الَّذين أُغير عليهم.

والقَسَم بالخيل على تلك الأوصاف لأجل التَّهويل، وترويع المشركين بما أُعدَّ لهم من الجهاد وآلته.

وجواب القسم هو قوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾؛ أي لكفورٌ لنعمة ربِّه، ﴿وَإِنَّهُۥ﴾أي الإنسان ﴿عَلَىٰ ذَٰلِكَ﴾ الكفر ﴿لَشَهِيدٌ﴾ في فَلَتات أقواله وأفعاله، فيبدو منها على لسانه وفي تصرفاته ما يتضمَّن الشَّهادة على نفسه بكفر نعمة ربِّه، ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي الإنسان ﴿لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ﴾ وهو المال ﴿لَشَدِيدٌ﴾؛ أي كثير الحبِّ له، وحبُّه إيَّاه حمله على البخل به، فصيَّره كفورًا.

ولهذا قال الله تحذيرًا له وتخويفًا: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾ هذا الكفور عن عقابه ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ﴾ أي أُثيرَ ما فيها، وأخرج الله الأموات منها، ﴿وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ فجُمع وأُحصي ما فيها من كمائن الخير والشَّرِّ، ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ أي مُطَّلِعٌ على أعمالهم، ومجازيهم عليها، وخَصَّ خُبْرَه بيوم القيامة حين تُبعثرُ القبور ويُحصَّل ما في الصُّدور، مع أنَّه خبيرٌ بهم في كلِّ وقتٍ؛ لأنَّ المراد: الجزاءُ بالأعمال النَّاشئُ عن علم الله بهم واطِّلاعه عليهم.

تفسير
سُورَةِ القَارِعَةِ

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾

الْقَارِعَةُ من أسماء يوم القيامة؛ لأنَّها تَقْرَع قلوب النَّاس وتُزعجهم بأهوالها، ولهذا عظَّم شأنَها وهوَّل أمرها بقوله: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾؛ فأيُّ شيءٍ هي هذه القارعة؟ وأيُّ شيءٍ أَعلَمَك بها؟، ثمَّ أَخبر عنها فقال: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ﴾ من شدَّة الفزع والهول، ﴿كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ أي المنتشر، والفراش: فَرْخ الجراد حين يخرج من بيضه يركَب بعضُه بعضًا، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧]، ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾ أي الصُّوف ﴿ٱلْمَنفُوشِ﴾ المتمزِّق الَّذي فُرِّقت بعض أجزائه عن بعضٍ.

وفي ذلك اليوم تُنصب الموازين، ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ برُجحان حسناته على سيئاته ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾؛ أي حياةٍ مرضيَّةٍ في جنَّات النَّعيم، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بأن لم تكن له حسناتٌ تُقاوِم سيئاته، ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ أي مأواه ومسكنه النَّار، تكون له بمنزلة الأُمِّ الَّتي يأوي إليها ويَلْزَمُها؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥]؛ أي ملازمًا أهلَها، وعظَّمَ أمرَها فقال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ﴾، ثمَّ فسَّرها بقوله: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾؛ أي شديدة الحرارة، من الوُقود عليها، وصحَّ في الحديث أنَّ حرارتها تزيد على حرارة نار الدُّنيا سبعين ضِعفًا.

تفسير
سُورَةِ التَّكَاثُرِ

عن عبدِ الله بنِ الشِّخِّير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: أَتيتُ النَّبيَّ ﷺ وهوَ يقرأُ قالَ: «يقولُ ابنُ آدمَ: مَالِي! مَالِي!»، قالَ: «وهلْ لكَ يا ابنَ آدَمَ من مالِكَ إِلَّا ما أَكلتَ فأَفنيتَ؟!، أَو لَبِستَ فأَبلَيتَ؟!، أَو تصدَّقتَ فأَمضَيتَ؟!». رواه مسلمٌ.

وعن أَبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «ما أَخشى عليكُمُ الفقرَ، ولكِنْ أَخشى عليكمُ التَّكاثُرَ، وما أَخشى عليكمُ الخطأَ، ولكِنْ أَخشى عليكمُ العَمْدَ». رواه أحمدُ، وإسناده صحيحٌ.

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾

يقول الله تعالى موبِّخًا المشركين ومحذِّرًا عباده المؤمنين: ﴿أَلْهَىٰكُمُ﴾؛ أي شَغَلكم عمَّا خُلِقتم له ـ وهو عبادة الله ـ ﴿ٱلتَّكَاثُرُ﴾ بينكم، وهو التَّفاخر بالكثرة فيما يُرغب فيه من الدُّنيا كالنِّساء، والبنين، والقناطير المُقنطَّرة من الذَّهب والفضَّة، والخيل

المسوَّمة، والأنعام، والحرث، وحذفَ الْمُتكاثَر به ليشمل كلَّ ما يُكاثر به، ولم تزالوا على تلك الحال ﴿حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾ بأن مُتُّم فدُفِنتم فيها وصِرتم إليها، وإنَّما جعلَ المُقام في البرزخ زيارةً؛ لأنَّ المقصود منه: النُّفوذ إلى الدَّار الآخرة، فجعلهم الله زائرين لا مقيمين، والبعث والجزاء يكونان في تلك الدَّار، ولهذا توعَّدهم بقوله: ﴿كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ سوءَ عاقبةِ تكاثركم، وتشاغُلِكم عن عبادة ربِّكم، وكرَّر الجملة مبالغةً في التَّهديد، وزيادةَ تأكيدٍ في تحقُّق الوعيد.

ثمَّ زجرهم عن غيِّهم مرَّةً أُخرى فقال: ﴿كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ﴾؛ أي لو تعلمون علمًا ثابتًا في القلب ما تَستقبلون بعد الموت؛ لَما ألهاكم التَّكاثر عن عبادة الله.

ثمَّ أقسم الله فقال: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ﴾ والجملة جواب قسمٍ محذوفٍ، تقديره: والله لتَرَوُنَّ الجحيم الَّتي أعدَّها الله للكافرين، ثمَّ أكَّد القسم بقسمٍ آخرَ فقال: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ﴾؛ أي عِيانًا بأبصاركم؛ وذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ۝٧١﴾ [مريم: ٧١]، فإذا رأيتموها سُئلتم حينئذٍ عن النَّعيم؛ وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾؛ أي فَلَيَسألَنَّكم الله عمَّا تنعَّمتم به في دار الدُّنيا، أشكرتم أم كفرتم؟

عن عبدِ الله بنِ الزُّبيرِ بنِ العوَّام رضي الله عنهما، عن أبيه قالَ: لمَّا نزلت: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيم، قالَ الزُّبيرُ: يا رسولَ اللهِ، وأَيُّ النَّعيم نُسأَلُ عنهُ، وإنَّما هما الأَسوَدانِ التَّمرُ والماءُ؟! قالَ: «أَما إِنَّهُ سيكونُ». رواه التِّرمذيُّ بسندٍ حسنٍ.

وعن أَبي هُريرةَ رضي الله عنه قالَ: خرجَ رسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ذاتَ يوم أَو ليلةٍ، فإذا هوَ بأَبي بكرٍ وعمرَ، فقالَ: «ما أَخرجَكُما من بُيُوتِكُما هذه السَّاعةَ؟!» قالا: الجوعُ يا رسولَ اللهِ، قالَ: «وأَنا والَّذي نفسي بيدِهِ لَأَخْرَجَنِيَ الَّذي أَخْرَجَكُما، قومُوا»، فقاموا معهُ فأَتى رجلًا من الأَنصارِ، فإذا هوَ ليسَ في بيتِهِ، فلمَّا رأَتهُ المرأَةُ قالت: مرحبًا وأَهلًا، فقالَ لها رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «أَينَ فلانٌ»؟ قالت: ذهبَ يَسْتَعْذِبُ لنا منَ الماءِ، إذ جاءَ الأَنصاريُّ فنظرَ إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وصاحِبَيهِ، ثُمَّ قالَ: الحَمدُ للهِ، ما أَحدٌ اليومَ أَكرمَ أَضيافًا منِّي، قالَ: فانطلقَ فجاءَهم بِعِذْقٍ فيه بُسْرٌ وتمرٌ ورُطَبٌ، فقالَ: كلوا من هذه وأَخذَ المُدْيَةَ، فقالَ لهُ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «إِيَّاكَ والحَلُوبَ»، فذبحَ لهم، فأَكلوا منَ الشَّاةِ، ومن ذلكَ العِذْقِ، وشرِبوا، فلمَّا أَن شَبِعوا ورَوُوا، قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لأَبي بكرٍ وعمرَ: «والَّذي نفسي بيدِهِ لَتُسأَلُنَّ عن هذا النَّعيم يومَ القيامةِ، أَخرجكم من بُيُوتِكُم الجوعُ، ثُمَّ لم ترجعوا حتَّى أَصابَكم هذا النَّعيمُ». رواه مسلمٌ.

تفسير
سُورَةِ العَصۡرِ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾

استفتح الله هذه السُّورةَ بالقسم فقال: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾ وهو الوقتُ المعروف آخرَ النَّهار قبل غروب الشَّمس؛ والمقسَم عليه: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾ فكلُّ النَّاس في خُسرٍ؛ أي هَلَكةٍ ونقصانٍ، ثمَّ استثنى من الخُسر الَّذين اتَّصفوا بأربع صفاتٍ هي المذكورة في قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾.

فالصِّفة الأُولى: الإيمان، وإنَّما يُدرَك أصلُه وكمالُه بالعلم.

والثَّانية: العمل الصَّالح.

وبهما يُكمِّل الإنسان نفسَه.

والثَّالثة: التَّواصي بالحقِّ، يأمر بعضهم بعضًا به.

والرَّابعة: التَّواصي بالصَّبر على أمر الله.

وبهما يُكمِّل الإنسانُ غيرَه.

تفسير
سورة الهمزة

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾﴾

هذه السُّورة مستفتحةٌ بالوعيد، ففاتحتها: ﴿وَيْلٌ﴾ كلمةُ وعيدٍ وتهديدٍ، تتضمَّن الدُّعاءَ عليه بسوء الحال؛ لتعْدِيتها باللَّام في قوله: ﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾، فتقدير الكلام: ويلٌ له، وهو الَّذي يهمِز النَّاس بفعله، ويلْمِزهم بقوله، فالهمَّاز: من يعيب النَّاس، ويطعَن عليهم بالإشارة، واللَّماز: من يعيبهم بقوله.

والهُمَزة واللُّمَزة والهمَّاز واللَّماز للمبالغة.

ومن صفته حرصُه على جمع المال وتَعديدِه، فذكره الله به فقال: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾، وهو لشدَّة وَلَعه بماله ﴿يَحْسَبُ﴾ لجهله ﴿أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ فأبقاه في الدُّنيا؛ لأنَّ الخلود فيها أقصى أمانيِّه؛ إذ لا يُؤمن بحياةٍ أُخرى.

ثمَّ توعَّده الله بأنَّ الأمر على خلاف ظنِّه، فما مالُه بمخلِّده، وإنَّ الله معاقِبُه، فقال: ﴿كَلَّا لَيُنبَذَنَّ﴾ وهو جواب قسمٍ محذوفٍ؛ أي والله ليُطرحنَّ ﴿فِي الْحُطَمَةِ﴾ الَّتي تَحْطِم ما يُلْقى فيها وتهشِمه، ثمَّ هوَّل شأنها وعظَّمه في قوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾، ثمَّ فسَّرها بقوله: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾؛ أي المُسَعَّرةُ المُشْعَلَةُ بالنَّاس والحجارة، ﴿الَّتِي﴾ من شدَّتها ﴿تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ فتنفُذ من الأجساد إلى القلوب فتُحرقُها، وألمُ حرقِ القلوب أشدُّ من ألم غيرها لِلُطفها.

وأهلها محبوسون فيها، قد أَيسوا من الخروج منها، لما أخبر اللهُ عنه بقوله: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾؛ أي مُغلَقةٌ عليهم، وهم يُعذَّبون فيها ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ أي أعمدةٍ طويلةٍ.

تفسير
سُورَةِ الفِيلِ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ١ أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ ٢ وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ٣ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ٤ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ ٥﴾

ذكر الله تعالى في هذه السُّورة خبرَ أصحاب الفيل، وباشر بالمخاطَبة بها الرَّسولَ ﷺ تقويةً له وتثبيتًا؛ بإظهار قدرة ربِّه الَّذي أرسله؛ فقال: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ١ أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ﴾ وهو استفهامٌ تقريريٌّ؛ أي أمَا علمتَ كيف فعل ربُّك بأصحاب الفيل؟، الَّذين كادوا بيته وأرادوا هدمه، فجعَلَ سعيَهم وما دبَّروه من شرٍّ في تضييعٍ؟! وهم الحبشة الَّذين جاؤوا مكَّة غزاةً مضمِرين هدم الكعبة؛ انتقامًا من العرب، فإنَّ ملكهم أبْرَهَةَ بنى كنيسةً عظيمةً سمَّاها (القُلَّيْسَ)، وأراد أن يَصرِف حجَّ العرب إليها، فجاء رجلٌ منهم فأحدث فيها تحقيرًا لها؛ ليتسامعَ العرب بذلك فتَهُونَ عليهم، فغضب أبرهة وعزم على غزو مكَّة ليهدم الكعبة، فجهَّز جيشًا عظيمًا لا قِبَل للعرب به، واستصحب

معه الفيل لهدمها، فلمَّا وصلوا قُرب مكَّة، خرج أهل مكَّة منها خوفًا على أنفسهم، فحبس الله الفيل ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾؛ أي جماعاتٍ متتابعةً متفرِّقةً، ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ تقذِفهم بحصًى صغيرةٍ من سجيلٍ وهو الطِّين المتحجِّر، ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾؛ أي محطَّمين كبقايا الزَّرع الَّذي دخلته البهائم فأكلتْهُ، وداسته بأرجلها، وطرحتْهُ على الأرض، بعد أن كان أخضرَ يانعًا، وكان هذا عامَ مولد النَّبيِّ ﷺ.

تفسير
سُورَةِ قُرَيْشٍ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ (٤)﴾

هذه السُّورة مفردةٌ في قبيلة النَّبيِّ ﷺ تعظيمًا له ولهم، والجارُّ والمجرور في صدرها ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ متعلِّقٌ بقوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ﴾، ودخلتْ عليه الفاء لما في الكلام من إرادة الشَّرْط؛ إذ معناه: إنَّ نعم الله عليهم لا تُحصى، فإن لم يعبدوه لأجل ربوبيته الْمُظهَرَة بنعمه فليعبدوه لأجل إيلافهم؛ أي ما لزموه واعتادوه مع الأُنس به، ثمَّ فسَّره بقوله: ﴿إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾، وهي رحلة تجارتهم في الشِّتاء لليمن، وفي الصَّيف للشَّام.

وأخَّر ما أمرهم به اعتناءً بما قدَّم فقال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ﴾، وخصَّه بالرُّبوبية لفضله وشرفه، ثمَّ أبرز بعض ما طواه قبلُ من نعمه عليهم الموجبة عبادتَه فقال: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ فرزقَهم من الثَّمرات، وهيَّأ لهم أسباب التِّجارات،

﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ فصيَّر بلدهم حرمًا آمنًا، وأعظمَ قدرَهم عند الخلق فلا يَتعرض لهم أحدٌ بسوءٍ؛ لأنَّهم جيران الكعبة المعظَّمة.

فانتظام سياق معانيها في وضع الكلام: لِتَعبدْ قريشٌ ربَّ هذا البيت؛ لِما أنعم عليهم في رحلة الشِّتاء والصَّيف، فأطعمهم من جوعٍ وآمنهم من خوفٍ.

تفسير
سُورَةِ المَاعُونِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿أَرَءَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ الَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ۝٧﴾

يقول تعالى في ذمِّ من ضيَّع حقَّه وحقوق عباده: ﴿أَرَءَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ وهو الحساب والجزاء على الأعمال، والاستفهام للتَّعجب من حالهم، وما أَورثهم تكذيبهُم من سوء الصَّنيع، ﴿فَذَٰلِكَ الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾؛ أي فهو ذلك الَّذي يدفع اليتيم بعنفٍ وشدَّة، ويمنعه حقَّه؛ لغلظة قلبه، وتكذيبه جزاءَ ربِّه، ﴿وَلَا يَحُضُّ﴾ غيرَه ـ والحضُّ: الحثُّ ـ ﴿عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾، وأحرى به أنَّه لا يُطعمه بنفسه؛ لمحبَّته المالَ وبُخلِه به.

ثمَّ توعَّد صنفًا من المصلِّين هم المنافقون، فقال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾؛ أي لاهون، فلا يُؤدُّونها في وقتها، ولا يُقيمونها على وجهها.

وفي «صحيح مسلمٍ» عن أَنسِ بنِ مالِكٍ قالَ: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «تلكَ صلاةُ المنافِقِ: يجلِسُ يرقُبُ الشَّمسَ، حتَّى إِذا كانتْ بَينَ قَرني الشَّيطانِ؛ قامَ فنقرها أَربعًا، لا يَذكرُ اللهَ فيها إِلَّا قليلًا».

والسَّهو عن الصَّلاة هو المُستشنَع المذموم، وأمَّا السَّهو فيها فيقع من كلِّ أحدٍ؛ لأنَّه واردٌ قلبيٌّ لا اختيارَ للعبد فيه.

ثمَّ وَصفهم بالرِّياء والحرصِ على الدُّنيا، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ﴾ فيُظهرون أعمالهم الصَّالحة ليراها النَّاس؛ فيحمدوهم عليها، ﴿وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ﴾ أي يمنعون النَّاس منافعَ ما عندهم، كالزَّكاة وما لا تضرُّ إعارته، ممَّا يُستعان به على عمل البيت من آنيةٍ وآلةٍ؛ ومنها القِدر والدَّلو وما جرت العادة ببَذْله؛ لشدَّة حرصهم على الدُّنيا وشُحِّهم بها، فلا هم أحسنوا عبادة ربِّهم، ولا هم أحسنوا معاملة خلقه.

تفسير
سُورَةِ الكَوْثَرِ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣﴾

امتنَّ الله ﷻ على نبيِّه محمَّدٍ ﷺ فقال له: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ وهو نهرٌ في الجنَّة، ومنه يَشخُب ميزابانِ يصُبَّان في حوض النَّبيِّ ﷺ في عَرَصَات يومِ القيامة.

وفي «صحيح مسلم» عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قالَ: بينا رسولُ اللهِ ﷺ ذاتَ يومٍ بينَ أَظهُرِنا؛ إِذ أَغفى إِغْفاءَةً، ثُمَّ رفعَ رأْسهُ مُتبسِّمًا، فقلنا: ما أَضحككَ يا رسولَ اللهِ؟ قالَ: «أُنزِلَت عليَّ آنِفًا سورةٌ»، فقرأَ: «﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾»، ثُمَّ قالَ: «أَتدرُونَ ما الكوثَرُ؟»، فقلنا: اللهُ ورسولُهُ أَعلمُ، قالَ: «فإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي ﷻ، عليهِ خيرٌ كثيرٌ، هوَ حوضٌ ترِدُ عليهِ أُمَّتي يومَ القيامةِ، آنِيَتُهُ عددُ النُّجومِ، فيُخْتَلَجُ العبدُ منهم فأَقُولُ: ربِّ إِنَّهُ من أُمَّتِي، فيقولُ: ما تدري ما أَحدَثَتْ بعدَكَ».

ولمَّا ذَكر مِنَّته عليه، أمره بشكرها فقال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾؛ أي أخْلِص صلاتَك كلَّها لربِّك، واجعل ذبحَك له وعلى اسمه وحدَه، وخَصَّ هاتين العبادتين بالذِّكر لفضلهما، فالصَّلاة تتضمَّن خضوع القلب والجوارحِ لله، والنَّحر يتضمَّن التَّقربَ إليه بسفك الدَّم من النَّحائر المشتمِل على سماحة النَّفس بالمال.

ثمَّ ذكر مِن منَّته عليه أيضًا خَسَارُ شانئه فقال: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾؛ أي مبغضك ﴿هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ المقطوع من كل خيرٍ.

وروى النَّسائيُّ في «السُّنن الكبرى» عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: لمَّا قدِمَ كعبُ بنُ الأَشرفِ مكَّةَ، قالتْ لهُ قُرَيشٌ: أَنت خيرُ أَهلِ المدينةِ وسيِّدُهُم، قالَ: نعم، قالوا: أَلا تَرى إِلى هذا المُنْبَترِ من قومِهِ؟، يزعُمُ أَنَّهُ خيرٌ منَّا، ونحنُ ـ يعنِي أَهلُ الحجيجِ، وأَهلُ السِّدانةِ ـ! ، قالَ: أَنتم خيرٌ منهُ، فنزلت ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾، ونزلت ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ﴾، إلى قوله: ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٥١ـ٥٢]. وإسناده صحيحٌ.

تفسير
سُورَةِ الكَافِرُونَ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ٦﴾

أمر الله رسوله ﷺ في هذه السُّورة أن يُبلِّغ الكافرين أمرًا عظيمًا فقال: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ الباقون على كفركم: ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾ من الآلهة في المستقبل، كما أنِّي لا أعبدها الآن.

ثمَّ أَخبر عن حالهم فقال: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾، وهو الله المستحقُّ وحده للعبادة، فعبادتكم إيَّاه وأنتم تُشركون به لا تُسمَّى عبادةً، ثمَّ كرَّر براءته من آلهتهم فقال: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ﴾ للدَّلالة على الثَّبات، وتأييسهم من عبادته لها، وأخبر عن تحقُّق تكذيبهم فقال: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾ للدَّلالة على أنَّ ذلك صار وصفًا لازمًا لهم: أنَّهم لا يؤمنون.

فلكلٍّ دينُه الَّذي رضيه؛ قال تعالى: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾؛ أي لكم دينكم الَّذي رضيتموه وهو الشِّرك، وليَ ديني الَّذي رضيه لي ربِّي وهو الإسلام.

تفسير
سُورَةِ النَّصۡرِ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾

تضمَّنت هذه السُّورة بشارةً لرسول الله ﷺ، وإشارةً عند حصولها وأمرًا.

فالبشارة هي البشارة بنصر الله له على الكافرين، ووقوعِ فتح مكَّة، ودخولِ النَّاس في دين الله أفواجًا؛ أي جماعاتٍ تِلوَ جماعاتٍ، وذلك في قوله: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا﴾.

وأمَّا الإشارة والأمر فهي الإشارة إلى دُنوِّ أجله ﷺ، وذلك في قوله: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ﴾، فإنَّ عُمُره ﷺ عُمُرٌ فاضلٌ أقسم الله به، والأمور الفاضلة تُختم بالاستغفار، كالصَّلاة والحجِّ، فأمرُ الله رسوله ﷺ أن يُسبِّحه مع حمده ويستغفرَه؛ فيه إشارةٌ إلى انقضاء عمره، ليتهيَّأ للقاء ربِّه، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾

يُوفِّق الخلق للتَّوبة ويَقبلها منهم، فكان ﷺ يتأوَّل القرآن، ويُكثِر أن يقولَ في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللَّهمَّ ربَّنا وبحمدك، اللَّهمَّ اغفرْ لي». متَّفقٌ عليه.

تفسير
سُورَةِ المَسَدِ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ٢ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ٣ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ٤ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ٥﴾

أخرج البخاريُّ ومسلمٌ عنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: لمَّا نزلتْ ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤﴾ [الشُّعراء: ٢١٤] صعِدَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الصَّفا، فجعلَ يُنادي: يا بني فِهْرٍ، يا بني عَدِيٍّ؛ لبُطُونِ قُريشٍ حتَّى اجتمعوا، فجعلَ الرَّجلُ إذا لم يستطِعْ أَن يخرُجَ أرسلَ رسولًا؛ لِيَنظُرَ ما هوَ، فجاءَ أَبو لَهبٍ وقُريشٌ، فقالَ: «أَرَأَيْتَكُم لو أَخبَرْتُكُم أَنَّ خيلًا بالوادي تُريدُ أَن تُغِيرَ عليكُم أَكنتم مُصَدِّقِيَّ؟!»، قالوا: نعم، ما جرَّبنا عليكَ إِلَّا صِدقًا، قال: «فإِنِّي نذيرٌ لكم بينَ يدَي عذابٍ شديدٍ»، فقالَ أَبو لَهَبٍ: تبًّا لكَ سائِرَ اليومِ، أَلهذا جَمَعْتنا؟! فنزلت: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾.

وأبو لهبٍ من أعمام النَّبيِّ ﷺ، وكان شديدَ العداوة والأذيَّة له، فهلك بذلك، وأخبر الله عنه وعن امرأته في هذه السُّورة فقال: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾؛ أي خسِرت يداه، ﴿وَتَبَّ﴾ فلم يربح، والجملة الأُولى دعاءٌ عليه، والثَّانية خبرٌ عنه، و﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ وكسبُه: ولدُه، فلن يَردَّ عنه ماله وولده شيئًا من عذاب الله إذا نزل به.

وقد توعَّده الله بقوله: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾؛ أي سيدخل نارًا عظيمةً تتوقَّد فيَصلاها، ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾، وهي أمُّ جميلٍ الَّتي كانت تَحمل أغصانَ الشَّجر الكبيرة ذاتِ الشَّوك، فتُلقيها في طريق رسول الله ﷺ؛ أذيَّةً له، فأعدَّ الله لها في عنقها حبلًا من مَسَدٍ؛ لقوله مخبِرًا: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ والْمَسَد: اللِّيف الشَّديد الخشونة إذا فُتِل وجُدل؛ كضفائر الشَّعَر.

وكان نزول هذه السُّورة قبل موت أبي لهبٍ وامرأته، وأخبر الله أنَّهما سيُعذبان في النَّار، فلن يُسلِما، فوقع الأمر كما أخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

تفسير
سُورَةِ الإخْلَاصِ

عن أَبي الدَّرداءِ رضي الله عنه عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «أَيعْجِزُ أَحدُكُم أَن يقرأَ في ليلةٍ ثُلُثَ القُرآنِ»، قالوا: وكيفَ يقرأُ ثُلُثَ القُرآنِ؟ قالَ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرآنِ». رواه مسلمٌ.

وعن أُبَيِّ بنِ كعبٍ رضي الله عنه، أَنَّ المشرِكينَ قالُوا لرسولِ اللهِ ﷺ: انْسُبْ لنا ربَّكَ، فأَنزلَ اللهُ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾. رواه التِّرمذيُّ وغيرُه، وهو حديثٌ حسنٌ.

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾

لَمَّا كان الدِّين مبنيًّا على الإخلاص؛ أَخْلَص الله هذه السُّورة لنفسه، آمرًا رسوله ﷺ أن يُبلِّغ عنه فقال له: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾؛ أي قل أيُّها الرَّسول مبلِّغًا: إنَّ الله هو الأحد المنفرد بالكمال، المتفرِّد بالأُلوهية والرُّبوبية والأسماء والصِّفات، فلا يُشاركه أحدٌ فيها.

وأنَّه هو ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾؛ أي السَّيِّد الكامل المقصود في قضاء الحوائج، فالخلقُ مفتقِرون إليه، وهو مستغنٍ عنهم، ومِن كماله ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾، فليس له ولدٌ ولا والدٌ، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ فلا يُكافِئُه أحدٌ في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، تبارك وتعالى.

تفسير
سُورَةِ الفَلَق

عن عُقبةَ بنِ عامرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَم ترَ آياتٍ أُنزلتِ اللَّيلةَ؛ لم يُرَ مثلُهُنَّ قَطُّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾» رواه مسلمٌ.

ومعنى «لم يُرَ مثلُهُنَّ قَطُّ» في الاستعاذة بهنَّ، وكان الرَّسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أَوى إلى فراشِهِ كلَّ ليلةٍ جمعَ كفَّيهِ ثمَّ نفثَ فيهما بالإخلاص والمعوِّذتين، ثمَّ يمسحُ بهما ما استطاعَ من جسدِهِ: يَبدأُ بهما على رأْسِهِ ووجهِهِ، وما أَقبلَ من جسدِهِ، يفعلُ ذلكَ ثلاثَ مرَّاتٍ. رواه البخاريُّ.

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا اشتكى يقرأُ على نفسِهِ بالمُعوِّذاتِ وينفُثُ، ويمسح بيده، وإذا مرِضَ أَحدٌ من أَهلِهِ نفثَ عليهِ بها. متَّفقٌ عليه.

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾

أمر الله الرَّسول ﷺ في سورة الإخلاص أن يقول مبلِّغًا، وأمره في سورة الفلق والنَّاس أن يقول متعوِّذًا، فقال له هنا: ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾ أي أَلجأ وأَعتصم؛ ﴿بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ وهو الصُّبح، ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ اللهُ من المخلوقات، وأُريد به بعضها، وهو كلُّ مخلوقٍ فيه شرٌّ.

ثمَّ ذَكر بعضَ أفرادِ المخلوقات المشتملة على شرٍّ، فقال: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ وهو اللَّيل إذا استحكم ظلامه؛ لما فيه من انتشار الأرواح الشِّرِّيرة، والحيوانات المؤذية، وعند التِّرمذيِّ بسندٍ حسنٍ عن عائِشةَ ﵂ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ نظرَ إِلى القمرِ، فقالَ: «يا عائِشةُ، استعيذي باللهِ من شرِّ هذا، فإِنَّ هذا هوَ الغاسِقُ إِذا وَقَبَ»، فجَعَلَ القمر علامةً له.

﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ وهي الأنفس السَّواحر من الرِّجال والنِّساء، اللَّواتي يستعِنَّ على سحرهنَّ بالنَّفخ مع ريقٍ لطيفةٍ في العُقَد المشدودة عليه.

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ وهو مَن يَكره وصول النِّعمة إلى محسوده، استعاذ منه إذا ثار حسُده وبَرَز.

وقد تضمَّنت هذه السُّورة الاستعاذةَ من أنواع الشُّرور عمومًا، ومن أصولها خصوصًا.

تفسير
سُورَةِ النَّاسِ

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ [النّاس: ١-٦]

مُسْتَهلُّ هذه السُّورة كسابقتها فإنَّ الله أمر رسوله ﷺ أن يقول متعوِّذًا، فقال له: ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾ أي ألجأ وأعتصم؛ ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ وهو سيِّدهم المالك والمصلِح لهم، ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ ومِلكه من ربوبيَّته لكن أُفرد لجلالة موقعه، ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾: معبودِهم بحقٍّ؛ ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ وهو الشَّيطان، ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ فيُحسِّن لهم الشَّرَّ، ويُقوِّي إرادتهم له، ويُقبِّح لهم الخير ويُثبِّطهم عنه، فإذا استعاذ منه العبد تأخَّر واندفع عنه، فالخنَّاس هو المتأخِّر المندفِع إذا ذَكر العبد ربَّه واستعاذ به في دفعه، ومحلُّ وسوسته: صدورُ الخلق ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾.